المحاضرة 5: الشعوبية

هي حركة ثقافية حضارية مناهضة للعرب، أو هي ما يشبه المنظمات التي كان يشرف عليها ويخطط لها ويتعهدها ويساعدها رؤساء من الوزراء ويربط هذا التعريف الشعوبية والأدباء والكتاب والشعراء من الدوالي الفرس بالفرس، لأنهم أكثر الموالي حقدا على العرب، والشعوبيون هم أولئك الذين كانوا ينتمون إلى تلك الشعوب التي اعتنقت الإسلام وينكرون على العرب أي فضل وأساسهم العصبية التي لا تدخل في دين إلا أفسدته ولا في حياة يتميزون به إلا أهلكتها.

بداية الشعوبية :

إن نشوء الشعوبية لم يكن صدقة، بل إن جذورها تعود إلى بداية الفتح الإسلامي، وقد ظلت خفية فترة من الزمن وسبب هذا الخفاء أن تعاليم الإسلام كانت متحكمة في نفوس الحكام والرعية من جهة ومن جهة أخرى فإن الموالي كانوا متحمسين لدين الإسلام، كما أن هذا الفتح الإسلامي تكونت عنه طبقة من القبائل العربية استشعرت قوتها وتفوقها مقارنة بالشعوب التي خضعت لها فاستقر في ذهن بعض هؤلاء أن العربي خلق ليسود و خلق غيره ليخدم ومن المعروف أن الفرس قبل الفتح كانوا قد قطعوا شوطا كبيرا في كل صنوف الحضارة والتمدن بينما كان العرب يعيشون في أصقاع شبه الجزيرة العربية في قبائل متناثرة ومتفرقة فارتقى بهم الإسلام الحنيف إلى طور الأمة، ثم حمل العرب راية الإسلام إلى الفرس ليرتقي بهم الإسلام إلى طور الأمة المسلمة، غير ان سنة هذا الترقي لم تعجب بعض العجم، وهنا يلاحظ انقسام رعايا الدولة إلى طبقتين متباينتين : طبقة السادة من العرب وطبقة الموالي، وقد ظلت الأمور على أحوالها حتى كان العصر الأموي حيث طغت فيه العنصرية العربية و المعروف عن العرب اهتمامهم بأنسابهم وأحاسبهم فأثيرت العصبية واصطدمت بالشعور القومي للموالي من الفرس خاصة اصطداما عنيفا كانت له أسوء النتائج، وعلى هذا الأساس أخذ الموالي يبذلون كل ما في وسعهم لمناهضة

الدولة الأموية والقضاء عليها وأزر الموالي في هذه الحركة أعداء الدولة الأموية من العرب وذلك لدوافع إسلامية أو حزبية.

أسباب ظهور الشعبية :

يمكن حصر أسباب شيوع الشعوبية إلي ثلاثة عوامل وهي

أولا: السبب الاجتماعي

وتجلى ذلك من خلال استعلاء العرب على الموالي استعلاء اعتدوا معهم بصراحة أنسابهم وشرف أحسابهم وظنوا أنهم أمة ليس كمثلها أمة، وحملهم على هذا الاعتقاد النصر العظيم الذي أحرزوه بتغلبهم على الفرس والروم فتملكهم الشعور بالسيادة والعظمة ونظروا إلى غيرهم من الشعوب نظرة السيد على المسود

ثانيا: السبب السياسي

ويتمثل أساس هذا السبب في نبذ بعض الأمويين للموالي وإقصائهم من المناصب الحساسة والرتب العالية حيث كان لا يلي سدة الخلافة أحد من أبناء المولدين و لا الموالي، وإذا اختاروا واليا أو قاضيا أو إماما يصلي بالناس انتقوه من العرب لا من الأعاجم، كما كان أيضا العربي في جيش الخلافة الأموية تحت فرق و ألوية الفرسان يقاتل فوق صهوات جوداه، أما الموالي فكانوا في عداد المشاة، ولا يستعان بهم إلا عند الحاجة والضرورة ولا يقبلونهم إلا متطوعين ولا يفرضون لهم العطاء من الغنائم ثابتا كما كانوا يفرضونه للمقاتلين من العرب غير أنه لا يمكن التسليم بهذه الأمور مطلقا

ثالثا: السبب الاقتصادي

ويبرز هذا السبب في إهمال الخلفاء الأمويين للشؤون المالية في الأمصار المفتوحة، وظلمهم لأهلها من الموالي، وأهل الذمة فقد استمروا يطالبون مسلمهم في هذه الأمصار المفتوحة بالجزية، بل وقد يتعسفون أحيانا في طلبها منهم تعسفا شديدا ومن الثابت أن بعض الولاة الأمويين كالحجاج فرض الجزيرة على الموالي نتيجة الأزمة المالية الخانقة في أوساط العصر الأموي. كما أن ما يقال عن إرهاق الموالي بالضرائب فيه شيء من

المبالغة الكبيرة، فالحق أن الأمويين لم يتجوزوا الضرائب المعروفة، كهدايا "النيروز" والمهرجان، واضطهاد الموالي يعود كذلك إلى عدم قدرتهم على تنظيم الصفوف خاصة في صرف أموال الدولة من الخراج لأنهم وجدوا متنفسا في الثروات التي خرجت على يد الأمويين، وكمثال على ذلك على الحجاج بن يوسف يدعو إلى (82 هـ) خروج عبد الرحمن بن الأشعث العدالة والمساواة. لكن الحجاج انتصر عليه وقتله ونكل تنكيلا بأتباعه. فلهذه الأسباب وغيرها كان الموالي متسارعين ومتلهفين إلى قبول الدعوة السرية التي نظمها البيت الهاشمي في الكوفة وخراسان...والتي انتهت بقيام الثور وسقوط. واعتلاء العباسيين لسدة الخلافة الإسلامية (132هـ.) البيت الأموي